مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة

العدد الثامن
1991 م.

نشأة وتطور

التعليم العالي في الجماهيرية

الدكتور علي الحوات
جامعة الفاتح

مقدمة:

خلافاً للآراء والنظريات التاريخية التي تقول بأن ليبيا صحراء جرداء لا يوجد في تاريخها علم ولا يوجد بها مراكز للثقافة والعلم فإن هذه الورقة ستحاول أن تثبت أن ليبيا طوال تاريخها القديم والحديث هي من أهم مراكز العلم والثقافة سواء في منطقة البحر الأبيض المتوسط في أيام الحضارات التاريخية القديمة أو بعد الفتح العربي الإسلامي ودخول ليبيا ضمن الحضارة العربية الإسلامية التي تميزت بنظامها التعليمي والثقافي والتربوي الخاص كما أن وصف ليبيا بأنها فقيرة في مراكز العلم والثقافة قديماً إنما يرجع لقلة الدراسات والأبحاث في مجال تاريخ العلوم والآداب والثقافة في هذه المنطقة، كما يرجع أيضاً في نظري إلى اتجاه معظم المؤرخين إلى البحث في الأحداث التاريخية السياسية والحربية والعمرانية في تاريخ ليبيا دون الاهتمام مباشرة بتاريخ العلوم والآداب ومن هنا ستحاول هذه الورقة إلقاء نظرة تاريخية شاملة على تطور التعليم العالي في ليبيا مركزة على أهم

المؤسسات التي أدت وظيفة ما نسميه اليوم بالجامعات أو الكليات الجامعية أو المعاهد التعليمية العليا.

تاريخ التعليم العالي في ليبيا:

يقول الدكتور عبد الله الشريف والأستاذ محمد إمحمد الطوير في كتابهما دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية[1]:

كانت ليبيا في العصور القديمة مركزاً لكثير من الحضارات وأهمها الحضارة اليونانية التي قامت في الجزء الشرقي والحضارة الرومانية في الجزء الغربي ووجود المدن الأثرية مثل لبدة وصبراته وشحات خير دليل على هذا الكلام. وفي الوقت نفسه كانت لليبيا صلات وثيقة بحضارة مصر القديمة ويضيف الدكتور الشريف والأستاذ الطوير بأن ليبيا في مُقدِّمة الأقطار التي اعتنت بالكتب والمكتبات، فقد كان كليماخوس (305 - 240 ق. م) في بداية حياته أميناً لإحدى المكتبات المتواجدة في شحات ثم انتقل مصنفاً لمكتبة الاسكندرية الشهيرة. والمعروف عن كليماخوس أنه شاعر ممتاز وأنه استطاع أن يضع فهرساً للمكتبة يقع في (120) مجلداً ويعتبر هذا الفهرس الأول من نوعه في تاريخ وضع الفهارس ويشتمل على السيرة الذاتية لأشهر المؤلفين وقد أورد هذه السيرة بشكل موجز بحيث أضفت معلومات لفائدة المستفيدين من الفهرس وقام بتصنيف الكتب المشمولة بالفهرس إلى ثمانية أقسام وهي: المسرحية والشعر الحماسي والغنائي ـ التشريع والفلسفة ـ التاريخ الخطب ـ علم الخطابة ـ موضوعات مختلفة ـ ونجد كذلك أرانونس (275-194 ق. م) ابناً لقورينا (شحات) وتلميذاً لكليماخوس قد أصبح رئيساً لمكتبة الاسكندرية بعد أن انتقل إليها أسوة باستاذه كليماخوس وكانت لأراندنس جهود علمية في مجالات الجغرافية والرياضيات والفلك وعلم التاريخ.

---

(1) د. عبد الله الشريف ومحمد امحمد الطوير، دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية الطبعة الأولى (طرابلس، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان) 1987م ص ص (15-16).

ثم تحولت ليبيا من نطاق الثقافة الاغريقية والرومانية ودخلت الحضارة العربية الإسلامية في القرن السادس الميلادي، وترتب عن ذلك ظهور نظام متكامل للتعليم والتربية يتكون من الكتاتيب وهي في نظري تعادل ما نسميه ونطلق عليه اليوم مرحلة التعليم الابتدائي وتعليم المساجد والجوامع ويعادل ما نسميه ونطلق عليه اليوم التعليم الاعدادي والثانوي والتعليم في الجوامع الكبرى والزوايا والربط وهذا التعليم يعادل ما نسميه ونعرفه اليوم بالتعليم الجامعي أو العالمي.

ولهذا النظام من التعليم والتربية في تاريخ ليبيا فلسفته وأهدافه ومؤسساته وأدواته ووسائله وأساليب تمويله ومتابعته، وحيث أننا بصدد دراسة وتحليل التعليم العالي في ليبيا لذلك سوف لن نهتم ببقية المراحل الأخرى وسيكون تركيزنا على التعليم العالي فقط.

كما يجب ملاحظة أننا حددنا الجوامع الكبرى والزوايا والربط كمؤسسات للتعليم الجامعي والعالي آخذين في الاعتبار ان التعليم العالي لا يحدد ويعرف بالمباني والمرافق التعليمية المقامة في مكان واحد وهو ما نطلق عليه اليوم (المدينة الجامعية) أو (الحي الجامعي) وإنما حددنا وعرفنا التعليم العالي في هذا السياق التاريخي بالمجهود الفكري والعقلي الذي يبذله شخص أو مجموعة أشخاص بغض النظر عن المكان، من أجل البحث والوصول إلى فهم ظاهرة من ظواهر المحيط المادي أو الاجتماعي أو الثقافي الذي يحيط بالإنسان. وسواء بُذِل هذا المجهود الفكري والعقلي في مكان واحد أو في أمكنة متباعدة متفرقة أو حتى بذل في الفضاء والصحراء فالعبرة حسب هذا التعريف بنوعية المجهود الفكري والعقلي وليست بالمبنى أو المرفق الذي تَمَّ فيه بَذْل هذا المجهود والنشاط العملي. وحتى اليوم هناك جامعات كبرى عملاقة في العالم لا توجد كل كلياتها ومرافقها التعليمية في مكان واحد بل هي موزعة بين عدة مبانٍ متباعدة عن بعضها بعضاً، بل ان بعضها يقع في مدينة والبعض الآخر في مدينة أخرى بعيدة عن الأولى.

وبهذا المعنى ليس من الضروري أن يكون التعليم العالي والجامعي في مجموعة واحدة من المباني أو في حيز مكاني واحد، وإنما فيما نعتقد أن الشرط الأساسي لما يمكن تسميته بتعليم عالي أو جامعي هو نوعية النشاط العقلي أو

الفكري وأساليبه ومناهجه والموضوعات التي يبحثها والغايات التي يسعى إليها.

وإذا ما سلمنا بهذا المعيار فإن النشاط العقلي والفكري الذي كان سائداً في ليبيا في المساجد الكبرى والزوايا والربط هو نشاط يمكن أن نطلق عليه بكل جدارة تعليماً عالياً أو تعليماً جامعياً، لأنه يفي بكل شروط ومتطلبات التعليم العالي والجامعي وهي التدريس والبحث العلمي الموجه لأغراض الدنيا والدين، وربما يعترض البعض على أن مثل هذا التعليم العالي هو ديني محض مقيد ومشروط بالبحث في قضايا دينية، فالرد على ذلك أن التفكير العلمي دائماً وأبداً في سياق الدين وبحث القضايا الدينية، ولا تناقض في ذلك فالإسلام لا يتعارض مع العلم بل ويدعو إلى العلم واستخدام العقل والبحث في المجهول، ومما يعزز وجهة النظر هذه ان الجامعات الغربية المتقدمة اليوم كانت بدايتها في الكنائس وحتى عندما استقلت عن الكنائس وظهرت الجامعات في القرن الثامن عشر إنما كانت تبحث في قضايا المسيحية واللاهوت المسيحي والتوفيق بين التراث اليوناني ـ الروماني القديم والمسيحية اضافة إلى الاتصال الفكري بين هذه المراكز العلمية الغربية والثقافة العربية الإسلامية عن طريق معايير الاشعاع الثقافي الأربعة وهي الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا وبلاد الشام. مرة أخرى ان الادعاء بأن التعليم العالي العربي عامة كان دينياً لا ينقص من حقيقته ووجوده وأثره، فالتعليم العالي الأوروبي نشأ بعد التعليم العالي العربي الإسلامي بعدة قرون كما ظهر بنفس الأسلوب والطريقة وفي هذا الشأن يقول جون لامونت: (إن جامعة باريس هي ثمرة الامتزاج بين مدارس ثلاث هي مدرسة كاتدرائية نوتردام ومدرسة دير القديسة جينيفيف Sainte Genevieve ومدرسة كنيسة القديس فيكتور، ومهما يكن من شيء فالمعروف أن هذه الجامعة قد ولدت داخل نطاق أسقفية شأن بقية الجامعات التي وجدت في شمال أوروبا. ويرى الكاتب ديروزيل أن القرن الثاني عشر كان يعتبر قرن المدارس الأسقفية وأنه مع بدايات القرن الثالث عشر وحتى يحول البابوات دون قيام هرطقات جديدة تهز الجهاز الكنسي البابوي، فقد عملوا جاهدين على حصر مصادر الثقافة والفكر وتنظيمها وتنسيقها بحيث تصبح كلها خاضعة لأحكامهم وتشريعاتهم، وقد قامت بمساعدتهم في هذا السبيل جماعات الأخوان الرهبان التي

كان أفرادها يعيشون على التسول والإحسان. وهذا يعني أن ديروزيل يرى أن الأصول الأولى لجامعات العصور الوسطى وعلى رأسها جامعة باريس ترجع أساساً إلى خشية البابوية من ظهور هرطقات جديدة تهدد كيانها وتقوض بنيانها أي أنها قامت بتشجيع البابوية وتأييدها حتى تكون سنداً لها)[2].

وعلى أية حال نعود مرة أخرى لالقاء نظرة تاريخية شاملة على كل مراحل التعليم والتربية في تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي الإسلامي مركزين كما سبقت الإشارة على التعليم العالي والجامعي باعتباره محور اهتمام هذا البحث. وكما قلنا يتكون نظام التعليم والتربية في ليبيا العربية الإسلامية من الكتاتيب والمساجد والجوامع الكبرى والزوايا والربط، وفيما يلي نلقي نظرة على هذه المستويات التعليمية المختلفة:

(أ) الكتاتيب:

وهي عبارة عن مدارس ابتدائية لتعليم الصبية القرآن الكريم ومبادىء الدين والأخلاق، وعادة ما يقع الكتاب خارج المسجد لا في داخله خوفاً من عبث الصبية بحرمة المسجد وهؤلاء الصبية عادة ما تكون أعمارهم ما بين الخامسة والسادسة عند الالتحاق بالكتّاب وتقام الكتاتيب في القرى والمدن والبادية على حد سواء. وهي بسيطة لا تحتاج إلى أساس أو وسائل ايضاح فكل ما تحتاج إليه لا يزيد عن حصير يطرح على الأرض في الحجرة ويجلس فوقه المعلم ويتحلّق حوله الصبية الصغار الذين يتلون سوراً من القرآن الكريم على ألواح من الخشب يرددونها حتى يحفظوها عن ظهر قلب ويبدأ اليوم الدراسي عادة منذ الصباح الباكر ويستمر إلى الظهيرة حيث يغادر الصبية للراحة وتناول الغداء يعودون بعدها لمواصلة الدراسة حتى أذان العصر وبه ينتهي اليوم الدراسي[3].

---

(2) د. جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات في العصور الوسطى؛ الكتب التاريخية (7) (الاسكندرية: منشأة المعارف، 1971 م) ص 132.

(3) د. نجاح القابسي (المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي)، مجلة كلية التربية، العدد الرابع عشر 1980-1981م ص 12 -13.

(ب) المساجد:

وهي الحلقة الثانيـة في نظام التعليم والتـربية الإسـلامي أو ما يعـادل التعليم الاعدادي والثانوي وهو أعلى من الكتاب في مستوى طلابها وأساتذتها وكان النـاس يرسلون أطفالهم إلى هذه المساجد لقراءة القرآن الكـريم على أيدي الفقهـاء وكان طلاب العلم في المساجد يجلسون على الأرض في شبه حلقات في هذه المساجـد يتـوسطهم الفقيـه ليعلمهم مختلف العلوم الإسلاميـة وعندمـا نتتبـع تـاريـخ التعليم والتربية في المساجد يصعب في الواقع وضـع حد فـاصل بين المسـاجد التي تقـوم بدور ما نسميـه اليوم بـالتعليم الأساسي وتلك المسـاجد التي تقـوم بدور مـا نسميه بـالتعليم الثانـوي وربما هـذا ما جعـل الدكتـور عبد الله الشـريف والأستاذ محمـد الطوير في كتابهما بعنوان: (دراسات في تاريخ المكتبـات والوثـائق والمخطوطـات الليبية)[4] يقسمان المساجد كمؤسسات تعليمية إلى ثلاثة أنواع:

1 ـ المسجـد الخاص الـذي يبنيه صـاحبه ليصلي فيـه ويتعبـد ويعلم النـاس تعليماً عاماً أو اختصاصياً احتساباً لوجه الله تعالى.

2 ـ المسجد المتوسط الذي يتعلم فيه التلميذ المرحلة التحصيلية.

3 ـ المسجد الجامع في المدن والحـواضر واشتهـر كثيرٌ منهـاحتى صار في مصاف الجامعات مثل جامع أحمد باشا بطرابلس وجامع القرويين بفاس بـالمغرب الأقصى وجامع الزيتونة بتونس وجامع الأزهر بمصر.

وكثيـراً ما تحـولت المساجـد التي تضم أو تحتوي على كتـاتيب إلى مـراكـز تعليمية راقية تدرس جميع فروع العلوم مثل الفلك والرياضيات والآداب والتجويـد والارشاد الخلقي.

(ج) الجوامع والزوايا والربط:

يـظهر جليـاً أن التعليم العـالي والجـامعي كـان يعتمـد في ليبيـا على ثـلاث

(4) مصدر سبق ذكره. د. عبد الله الشريف وآخرون، 1987م، ص 30.

مؤسسات متداخلة في وظائفها ورسالاتها وهي الجوامع والـزوايا والـربط، ويبدو أن النوع الأول وهو الجامع أو المسجد ساد في جميع أنحاء العالم العربي والإسـلامي ولكن النوعين الآخرين الزوايا والربط سادتا وشاعتا في الصحارى وعلى الشـواطىء البحرية في بلدان المغـرب العربي وأفـريقيا الإسـلامية بشكـل خاص لاسبـاب قد ترجع إلى طبيعة الفتوحات الإسلامية في شمال افريقيا التي تحتاج دائماً إلى أمـاكن للدفاع والراحة والعيادة وتخزين المؤن ومن بعد ذلك أغراض التعليم. وفي مـرحلة متـأخرة من تـاريخ العـرب المسلمين نُلاحِظ أن الخـلافات الـدينية والسيـاسية في المشرق العربي أدت إلى لجوء الكثير من قادة وزعماء هذه الخلافـات إلى المغرب العـربي وأفريقيـا عامـة كأمـاكن لنشر دعـواتهم الدينيـة والسياسيـة. اضافـة إلى أن الخلافات الدينية والسياسية في منطقة المغرب العربي قـد أسهمت في فترة متـأخرة من التاريخ العربي الإسلامي في ازدياد هذه الـزوايا والـربط وابتعدت عن وظيفتهـا الاصليـة وهي الجهاد والتعليم إلى وظيفـة أخـرى وهي الـدعـوة إلى عقيـدة معينـة ومحـاولة تـأسيس دولة أو مجتمـع مدني على منـوال هذه العقيـدة، وذلك كمـا هـو الحال في دولة الموحدين والمرابطين في المغرب العربي. وعندما أصبحت منـطقة الشمـال الافريقي الإسـلامي عرضـة للحملات الاوروبيـة المسيحية خـاصة بعـد ضعف العرب والإسلام في الأندلس وكثرة الصراعات والفتن بين دويـلات المغرب العربي والأندلس هنا لعبت هذه الربط والزوايـا دوراً مهماً في الـدفاع عن الإسـلام وحماية الأرض العربية من حملات الأوروبيين المسيحيين.

وعلى أيـة حال نستعـرض فيما يلي وظيفـة التعليم العـالي التـي قـامت بهـا الجـوامع والـزوايا والربط التي تعادل أو تشبـه ما نـطلق عليـه اليـوم الجـامعـات أو الكليات الجامعية أو المعاهد العليا ومراكز البحث العلمي.

1 ـ الجوامع:

أقيمت في جميع مدن وقـرى ليبيا وفي مقـدمتها طـرابلس وبنغازي ومصـراته وزليطن واجدابيا ودرنة وغيرها المساجـد كمـراكز علميـة وكمراكـز لاقامـة الشعائـر الدينية ولتعليم الناس أيضاً. وكان أول ما أنشىء في طرابلس جامع الناقة وهو جامع

الفتح . وتذكر بعض المصادر أن الذي أسسه هو عمرو بن العاص وهو يشبه جامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط الإسلامية بمصر وبنى الأغالبة في طرابلس في القرن الثالث الهجري الجامع الكبير وموقعه في المكان الموجود فيه جامع أحمد باشا الآن بسوق المشير ثم بنى الفاطميون جامع طرابلس الأعظم في العام المكمل للمائة الثالثة الهجرية على يد خليل بن إسحاق ويقال ان الأسبان هدموا هذا المسجد في عام 1510 م عندما احتلوا طرابلس وقد كانت تعقد في هذا الجامع أشهر الحلقات العلمية وقد اتسع التعليم في عهد الصنهاجيين وتعددت فنونهم وشملت العلوم الإسلامية والعربية والطبيعة والرياضة، وصار هذا الجامع بمثابة جامعة ليبية قائمة بذاتها تخرج العلماء ويوفد إليها الطلاب من كل مكان وينال أساتذتها الشهرة العلمية الواسعة في مختلف فروع المعرفة، ولقد كان لبعض هؤلاء العلماء آثار علمية كبيرة ومن بينهم الفقيه عبد المجيد ابن أبي الدنيا (606-684 هـ) الموافق (1227-1305 م) وقد كان لهذا العالم منزلة كبيرة في الدولة الحفصية حتى أن هذه الدولة لما أرادت نقل حلقات التعليم من جامع القيروان إلى جامع الزيتونة في تونس في القرن السابع الهجري لم تعول في ذلك على عالم من العلماء غير عبد الحميد بن أبي الدنيا، وقد أنشأ مدرسة تحت اسم المدرسة المستنصرية في باب البحر بمدينة طرابلس .

وقد أنجبت مثل هذه المساجد علماء أجلاء . كما كان يقوم بالتعليم فيها فقهاء وعلماء أعلام وينوه التجاني في رحلته بشيخ علماء طرابلس الإمام الحافظ أبي فارس عبد العزيز بن عبد العظيم ويقول: (ناهيك من رجل قد نال من المعاني ما اشتهى وحاز فيما حاز من العلوم الأصولية والفرعية الغاية والمنتهى، حضرت درساً بمسجد مجاور لداره فرأيت رجلاً متعلقاً من العلم ذاكراً بالمذهب ذكراً لا يجاريه فيه أحد وكان مولده بطرابلس عام 639 هـ[6] وفي أيام العثمانيين أمر أحمد باشا القرة ماللي في عام 1831 ببناء مدرسة وجامع في مكان قريب من الرايا في مواجهة قصر الباشا وبفضل متابعة الوالي أحمد باشا تمكن المهندسون والعمال من

---

(6) نفس المصدر السابق، 1972 ص 189 نقل عن التجاني رحلة التجاني ص 122.

الانتهاء الكلي من العمل بالمدرسة والجامع في مدة قاربت الخمس سنوات أي ما بين (1831-1838) حينما ظهر الجامع في منظر جميل بديع[7].

وقد قدم أحمد النائب الذي كان من أعيان مدينة طرابلس والذي تم تعيينه منها إلى استانبول في عهد الوالي أحمد راسم باشا في نهاية القرن التاسع عشر وصفاً موجزاً لعمليات بناء المدرسة والجامع بقوله: (وأسس الجامع المعروف به باسم جامع أحمد باشا الكائن بقرب (باب المنشية) موضع المسجد الذي بناه حضرة سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه حين الفتح، ومبنى المدرسة التي باتصاله وأوقف عليها أوقافاً كثيرة)[8].

وأما من حيث وظائف التعليم والتربية في جامع أحمد باشا ومثله من الجوامع فقد كانت حلقات التعليم تتم بداخل الجامع حيث كانت تكفي الدروس المختلفة والتخصصية من فقه ونحو في أكثر من حلقة دراسية كان يجتمع فيها الطلبة مع مشائخهم عقب صلاة الصبح وحتى قرب صلاة الظهر وقد يستأنف تلقي الدروس بعد العصر. وبالنسبة لجامع أحمد باشا الذي اتخذناه كمثال لهذا المستوى من التعليم العالي فمن المؤكد أن الذي شجعه على انشائه والاهتمام به هو ما كان يوجد في عصره من كثرة العلماء الذين عادوا لوطنهم خاصة بعد فترة من الفوضى والاضطراب سادت أنحاء ليبيا قبل تولي أحمد باشا الحكم في ليبيا.

إن كثرة العلماء في مدينة طرابلس والجو العلمي الراقي هو الذي فيما يبدو قد دفع الوالي أحمد باشا إلى توفير المصادر والمراجع للطلبة والمدرسين على حد سواء، بل انه قام بشراء المخطوطات والكتب التي كانت متداولة في ذلك الوقت والمتنوعة في موضوعاتها كالطب والعقائد والسير والآداب والنحو والصرف والتفسير وغير ذلك من الموضوعات الأخرى، وعلى هذا الأساس يمكن القول إنَّ مثل هذا الجامع وهذه المدرسة الملحقة به يعد في مستوى التعليم الجامعي أو الكليات الجامعية حسب تعريفها ومفهومنا للجامعة وما يدرس فيها الآن[9].

---

(7) مصدر سبق ذكره دكتور عبد الله الشريف ومحمد الطوير ص 95-96.

(8) المصدر السابق (ص 97).

(9) المصدر السابق. د. رأفت غنيمي الشيخ ـ 1972م. ص 101.

2 الزاويا:

يمكن النظر للزاوية على أنها مدرسة دينية عليا بالاضافة إلى أنها مأوى للغرباء والفقراء والمسافرين. ويقسم الدكتور عبد الله الشريف والأستاذ محمد الطوير في كتابهما دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية[10]. الزاوية في ليبيا وبقية بلدان المغرب العربي إلى ثلاث فئات:

1 ـ الزاوية البسيطة وتتألف من مجموعة من الأبنية المتلاصقة وفيها بيت للطلبة وهي غرف حول صحن كبير وفيها غرف للتدريس والمكتبة ثم المرافق اللازمة وتكون الاراضي التي حولها حبسا عليها في غالب الأحيان لكي تعيش عليها.

2 ـ الزوايا التي تقوم حول ضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف.

3 ـ الزوايا التي كان يدفن فيها ولي كان يعيش فيها وسط تلاميذه يبين تعاليمه وطريقته الصوفية وعرف هذا النوع من الزوايا باسم الزوايا الصوفية.

وفي ليبيا كانت الزوايا بمثابة مراكز ثقافية تقع في الغالب على طرق التجارة التي تربط وسط أفريقيا وشرقها بشمالها ـ كما كانت تربط غرب أفريقيا بشرقها وتنتقل بواسطة هذه الطرق السلع في قوافل دائمة الحركة. وفي هذه الزوايا يلتقي رجال القوافل القادمون من الجنوب والعائدون من الشمال يجلسون إلى مشائخ الزوايا ويتبادلون معهم الأحاديث المختلفة عن البلاد التي جاءوا منها أو مروا بها، وبذلك تظل هذه الزوايا على صلةٍ بالعالم الخارجي. كما قامت الزوايا بدورها التعليمي في ليبيا وبقية بلدان المغرب العربي في عهد الموحدين والحفصيين وبذلك انضمت الزوايا إلى الكُتّاب والجامع لتصبح جميعاً أهم المؤسسات التعليمية الثقافية في ليبيا قبل القرن التاسع عشر حينما ازدهرت هذه المؤسسات بفضل الأوقاف الكثيرة التي كان يوقفها القادمون من أبناء الشعب الليبي[11].

---

(10) مصدر سبق ذكره. د. عبد الله الشريف ـ محمد الطوير، 1987م ص (29).

(11) المصدر السابق، د. رأفت غنيمي الشيخ 1972م ص (95).

والزوايا والربط التي سنتحدث عن دورها التعليمي بعد قليل كانت منتشرة في كافة أنحاء ليبيا، ويوجد عادة في هذه المؤسسات أقسام داخلية لايواء طلاب العلم وتزويدهم بكل ما يحتاجونه من مأكل ومشرب وكتب، وكان معظم المقيمين من الطلاب والأساتذة الغرباء وكانت الكتب والمراجع متوفرة عن طريق التحبيس والوقف ليستفيد منها الدارسون وطلبة العلم بدون مقابل وفي العادة كان الطلبة يقومون بنسخ الكثير من المراجع والمؤلفات التي وضعها العلماء الليبيون نتيجة استفادة الليبيين من المكتبات الملحقة بهذه المؤسسات العلمية خلال سنوات دراستهم وأصبح في مقدورهم أن يؤلفوا في مجالات الدراسات اللغوية والأدبية والفقه والتصوف وفي مختلف العلوم الأخرى[12].

وكان من أشهر الزوايا المنتشرة في ليبيا والتي أدت دوراً تعليمياً عالياً الزوايا التالية:

1 ـ زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر في مدينة زليطن، وقد تأسست في حياة الشيخ عبد السلام سنة 900 هـ.

2 ـ زاوية الشيخ إبراهيم المحجوب بمدينة مصراته، وهذه الزاوية منسوبة إلى الشيخ إبراهيم المحجوب ثم غلب اسم زاوية المحجوب على المنطقة التي تقع بها الزاوية وصارت تسمى بهذا الاسم.

3 ـ زاوية الشيخ أحمد الزروق بمدينة مصراته.

4 ـ زاوية الشيخ الدوكالي بمنطقة مسلاته ببلدة الزعفران وقد أسسها الشيخ عبد الله الدوكالي في حياته.

5 ـ زاوية الشيخ أبو راوية بتاجوراء.

6 ـ زاوية الشيخ عبد النبي الأخضر في الجبل الغربي وهي تسمى زاوية أبو ماضي وهو اسم لجبل قريب من بلدة ككلة بنيت هذه الزاوية بالقرب منه ونسبت إليه.

---

(12) مصدر سبق ذكره د. عبد الله الشريف ومحمد الطوير 1987م ص 28-30.

7 ـ زاوية القائد عمورة بمنطقة جنزور بطرابلس.

8 ـ زاوية النعاس بتاجوراء.

9 ـ زاوية طبقة بمنطقة الزنتان.

10 ـ زاوية سيدي بن جحا بمنطقة الخمس.

11 ـ زاوية أولاد سهيل بمنطقة الزاوية الغربية.

12 ـ زاوية سيدي عثمان بمنطقة الخمس.

13 ـ زاوية سيدي زائد بمنطقة الخمس[13].

وكانت هذه من أهم الزوايا التي قامت في أنحاء متفرقة من الأراضي الليبية والتي استطاع الباحث جمع معلومات عنها وكانت هذه الزوايا بمثابة تعليم عالٍ فكان برنامج التعليم فيها شاملاً للعلوم الدينية حيث تدرس كتب الفقه والحديث وتفسير القرآن الكريم وعلم الفرائض والفلك والجغرافيا والتاريخ والطب كما تدرس العلوم الأدبية واللغوية ومن بينها علم الأدب والعروض والنحو والصرف والبلاغة وكان العلماء في الزوايا يمنحون نوابغ طُلاَّبهم الاجازة العلمية التي تمثل جانباً من التنظيم التعليمي في ليبيا في ذلك الوقت، وقد نبغت فئات كثيرة مشهورة من العلماء جيلاً بعد جيل في العلوم الإسلامية والعربية ويذكر الليبيون إلى وقت قريب جداً العلماء والأساتذة الذين تتلمذوا في مثل هذه المؤسسات التعليمية العالية وتخرجوا أساتذة وفقهاء وقضاة ورجال ادارة. بل ان مثل هذه المؤسسات التعليمية حافظت على اللغة العربية والتراث الإسلامي من الضياع والغزو والاستلاب الثقافي الذي تعرضت له ليبيا خلال فترات الاحتلال الايطالي على وجه الخصوص، بل إن هذه المؤسسات التعليمية العالية أسهمت في الحركة الوطنية وحروب الجهاد ضد الغزو الايطالي بشكل خاص.

---

(13) مصدر سبق ذكره ـ د. رفعت غنيمي، 1972م ص 97.

(14) وكذلك بيانات جمعها الباحث لاعداد هذه الدراسة، مصدر سبق ذكره مجلة التربية العدد الرابع عشر 1980م ـ 1981م ص 16.

3 ـ الربط :

تقول الدكتورة نجاح القابسي :(نشأت الربط وهي جمع رباط وأصل الربط ما تربط فيه الخيول معدة للدفاع والمجاهدة. والمرابط هو المجاهد يدفع عمن وراءه جهاد النفس. والمقيم في الرباط مجاهد نفسه ويطلق أيضاً على بيت الصوفية إذْ كان الرباط في الاصطلاح يعني الدار الحصينة للصوفية أو بمعنى آخر الصوفية الحصينة التي يسكنها الصوفية والاسم المرابطة وهي اصطلاحاً ملازمة الثغور مع المواظبة على الشعائر الدينية ويعرف الملازمون للربط بالمرابطين ومن المعاني السابقة يلاحظ التأكيد على الناحية الدينية والجهاد والدفاع عن أرض الوطن، ثم أخذ الرباط وظيفة تعليمية منذ عهد المرابطين في المغرب العربي إذ سمي المكان الذي أقام فيه عبد الله بن ياسين الجزولي للتعليم والتدريس بالرباط وعندما بلغ تلاميذه حوالي ألف رجل من أشراف صنهاجة بزعامة ابن ياسين سمَّاهم بالمرابطين وواضح أن ليبيا تتصل بالصحراء الكبرى الافريقية بل هي مفتاح هذه الصحراء وحلقة اتصال بين خليج سرت وخليج غانا على المحيط الأطلسي وقد أدرك العرب ذلك منذ الفتح العربي الإسلامي ويبدو أن ذلك هو الذي دفع الوالي العربي هرثمة بن أعين سنة 179 هـ/ 795 م إلى تشييد رباط طرابلس في ليبيا ورباط المنستير في تونس ويمكن أن نعتبرها كما تؤكد الدكتورة نجاح القابسي نموذجاً حياً لما كان عليه الرباط الإسلامي في المغرب العربي وهو بناء من طابقين محصن وفي وسطه صحن واسع تشرف عليه حجرات الدور الثاني على شكل شرفة ويضم بين جدرانه مسجداً لإقامة الشعائر الدينية ومدرسة علمية عليا للتعليم والتربية وهو في عمومه مركز عسكري دفاعي عادة ما يكون على الهضاب المرتفعة الواقعة على شواطىء البحر أو على ربوة مرتفعة في الصحراء ويرى معظم المؤرخين أنه قد تألف عقد طويل من الرباط على طوال الساحل البحري من طنجة إلى الاسكندرية وقدْ أسست في طرابلس الأربطة البحرية على طول الساحل لحماية الثغور من هجمات أساطيل الأعداء كما أُسِّسَتْ أيضاً الأربطة الصحراوية لحماية الثغور البرية من هجمات الافريقيين لكن الرباط لم يكن حصناً دفاعياً أو هجومياً فقط، ولم يكن منطقة أمان وسياج وحراسة بل كان مركز اشعاع للعلوم العربية والإسلامية من حيث هو معهد تعليمي ودار كتب ومصنع للورق لعب دوراً أساسياً في تثقيف الافريقيين

في الدين واللغة. وسرعان ما أسست حول الرباط مدينة لتمكين الطلبة وأهاليهم من أسباب المعاش الكريم فصار الرباط مدينة علم واتسعت سلسلة الربط من خليج غانا على المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر أي إلى مكة المكرمة فصار الطلاب الأفارقة ينتقلون من رباط في طلب العلم إلى أن يبلغوا مكة في طلب العلم والحج فيستكملون علومهم ويحجون ويرجعون مرابطين أساتذة مزودين بالعلم والبركة في آن واحد يرجعون طريقهم من مكة إلى قاو أو داكار أو غيرها[15].

مرة أخرى أدى الرباط في تاريخ ليبيا وظائف علمية واقتصادية ودفاعية وعمرانية فكان الرباط مستقراً أو مكاناً للراحة بالنسبة للقوافل الليبية التي تدخل إلى قلب الصحراء الكبرى للتجارة ونشر الإسلام بين الأفارقة وهذا ما يفسر لنا هذه السلسلة من المدن الصحراوية الثقافية مثل غدامس وغات وحبات وشنبكت وفاو وغيرها.

وهكذا يمكن القول بأن الحركة العلمية التي ارتبطت بالربط في شمال افريقيا بدأت بطرابلس ثم اتجهت غرباً حتى اخترقت الصحراء إلى غانا ثم اتجهت شرقاً إلى أن ربطت بين غانا ومكة المكرمة ثم اتجهت شمالاً فربطت بين غانا واشبيلية فهذا هو الدور الكبير الذي قامت به الربط في ليبيا.

ومن الأمور التي تستلفت النظر أن الرباط كان معهداً دينياً قبل أي شيء ويخلق الجو الديني. واستمراره كان يقوم بما عرف بالعبادة والعمل فالعبادة مقدار مشترك متحد بين جميع الربط وهي موسيقى دينية متزمتة مؤثرة حارة وجملة أناشيد تنشد خارج الرباط للدلالة على أنها مشتركة بين جميع الأربطة، وتقع هذه الأناشيد المؤثرة بعد ايقاد الشموع وتبخير البخور في المحاجر، وعلى القيام بحركات جماعية تتجه إلى باب الرباط، وبذلك تخلق العبادة الجو الرباطي العام. ثم يقع العمل داخل الرباط، والغالب أنَّ العمل يقع كل يوم خميس وكل يوم سبت فيجلس المنشدون حول رئيسهم وبينهم الشموع وحجار البخور فينشد أحدهم أبياتاً من الشعر العقوصي المعروف بالرقائق لأنه يرقق القلب ويجري الدمعة ويدعو

(15) مصدر سبق ذكره ـ د. رأفت غنيمي الشيخ ص 92.

إلى الانجذاب فيأخذ الوجد حلقة المرابطين فيبكون ويصرخون ويمزقون الجيوب ويقعون على الأرض في غيبوبة تصوفية[16].

وبعد انتقال الادارة والحكم لسيادة الدولة العثمانية حافظت ليبيا على نمط التعليم الديني القائم بها بكل مستوياته ودرجاته عدا الربط التي تعتقد أن وظيفتها العسكرية والدفاعية قد ضعفت بالنظر إلى نظرة العرب إلى الأتراك كمسلمين وليسوا نظرة محتلين وأواخر عهد الأتراك في ليبيا دخلت عناصر تعليمية جديدة إلى البيئة الليبية تتمثل في انشاء مدارس تركية مدنية وعسكرية على غرار ونمط النموذج الاوروبي، وكان القصد من هذه المدارس التركية في ليبيا اعداد ضباط ليبيين للجيش التركي العامل في ليبيا واعداد موظفين للادارة التركية في ليبيا أيضاً اضافة إلى أن هذه المدارس التركية في ليبيا جاءت نتيجة شعور تركيا بضعفها أمام اوروبا ورغبتها في تقوية نفوذها في الولايات العثمانية البعيدة عن مركز السلطة العثمانية في استانبول، وربما كان هذا التوسع التعليمي التركي في الأراضي الليبية جاء نتيجة خوف تركيا من ازدياد وتفوق القوى الاوروبية ونيتها لاحتلال ممتلكات الامبراطورية العثمانية، وربما يضاف إلى ذلك بدء تمرد العرب في ليبيا وغيرها من المناطق العربية على سلطة الأتراك ونزعتهم القومية، الأمر الذي دفع تركيا لاسترضاء العرب في ليبيا وغيرها بفتح مدارس لابنائهم وتشجيع بعض الاسر الليبية بارسال أبنائهم للدراسة والتعليم العالي في تركيا نفسها ولكن كل ذلك كان بشكل محدود.

ورغم ما سبق لم تنشأ في ليبيا أية كلية جامعية عليا، وإنما كان من يرغب من الليبيين في استكمال تعليمه العالي كان يتجه إلى مصر ليدرس بالجامع الأزهر وإلى تونس ليدرس بجامع الزيتونة ومن أراد الاستزادة من خريجي المدارس العسكرية أو الوطنية الخاضعة للاشراف المباشر من قبل تركيا يتجه إلى استانبول ونحن حينما نستعرض المعاهد العليا المتاحة في تركيا إنما نستعرضها لأنها تقبل طلاب ليبيين إلى جانب الطلاب الأتراك والطلاب من بقية الولايات العثمانية العربية وغير العربية

(16) نفس المصدر السابق ـ د. رأفت غنيمي ص 93.

ولكن الملاحظ أن التعليم العالي لم يكن متاحاً لكل الليبيين وإنما كان محصورا فقط على بعض أبناء ليبيا إلى جانب الأتراك المقيمين في ليبيا[17].

على أية حال فقد كان من أهم مؤسسات التعليم العالي في تركيا نفسها والتي التحق بها بعض الطلبة الليبيين ما يلي:

1 ـ مدرسة أبناء العشائر: تأسست هذه المدرسة العليا عام 1308 هـ الموافق 1892 م بمناسبة عيد جلوس السلطان لتعليم أولاد مشائخ القبائل والعشائر ويبدو أن الهدف منها كان استيعاب أبناء رؤساء القبائل والعشائر العربية وغير العربية في أنحاء الولايات العثمانية لتعليم أبنائهم في تركيا ومن ثم يعودون إلى بلدانهم الأصلية لتولي المناصب المدنية وهم مُشْبعُون بروح الثقافة التركية والولاء لها.

2 ـ المكتب الملكي المدني وقد تأسس 1276 هـ الموافق 1858 م لاعداد الاداريين ومدة الدراسة به ثلاث سنوات بعد المدرسة الاعدادية ويقبل أربعين طالباً كل سنة معفون من الخدمة العسكرية.

3 ـ المكتب السلطاني وقد أنشىء عام 1285 هـ الموافق 1868 م لتعليم المسلمين وغير المسلمين وهو داخلي وخارجي ومدة الدراسة به ثلاث سنوات ابتدائي، وثلاث سنوات متوسط وثلاث سنوات عالي وبه قسم فرنسي.

4 ـ مكتب الطب: وقد تأسس 1285 هـ الموافق 1868 م وهو خارجي ويدخله الطلاب الحاصلون على شهادة المدارس الاعدادية (الثانوية) أو ما يعادلها ويؤدي الطالب امتحان قبول وكانت مدة الدراسة به ست سنوات لدراسة الطب وثلاث سنوات لدراسة الصيدلة.

5 ـ دار المعلمين: انشئت عام 1285 هـ الموافق 1868 م وكانت تنقسم إلى ثلاث مراحل: مرحلة ابتدائية ومدة الدراسة بها عامان دراسيان ومرحلة رشدية ومدة الدراسة بها عامان أيضاً ومرحلة عالية وتنقسم قسمين شعبة للآداب ومدة الدراسة بها سنتان وشعبة للفنون ومدة الدراسة بها أيضاً سنتان.

---

(17) نفس المصدر السابق ص 162.

6 ـ دار المعلمات: تأسست عام 1286 هـ الموافق 1869 م لاعداد معلمات للمكاتب الرشدية للإناث ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات.

7 ـ مكتب الحقوق: وقد أنشىء عام 1269 هـ الموافق 1879 م للحصول على موظفين للعدل ووكلاء دعاوى (محامين).

8 ـ مكتب التجارة تأسس عام 1302 هـ الموافق 1885 م وكان مرتبطاً بنظارة التجارة والأشغال، ثم ألحق بنظارة المعارف في نفس السنة وكانت مدة الدراسة بهذه الكلية ثلاث سنوات.

9 ـ دار الفنون (الجامعة) وقد تأسست عام 1316 هـ الموافق 1898 م وتقبل كل سنة ثلاثين طالباً ومدة الدراسة بها حسب شعبها فشعبة العلوم الدينية أربع سنوات وشعبة العلوم الرياضية والطبيعة ثلاث سنوات وشعبة الآداب ثلاث سنوات.

10 ـ المدارس العسكرية وهي تشمل علوماً حربية وعلوماً طبية حربية وعلوم البحر وعلوم الآلات والعمليات الحربية ويبدو أن هذه المدارس العسكرية كانت من أكثر المجالات المتوفرة لليبيين حيث كانت الحكومة التركية تشجع الليبيين وغيرهم من العرب في بقية الولايات العربية على التعليم العسكري حيث يكونون جنودها المخلصين الذين يدينون بالولاء لها وتؤكد الكثير من المصادر بأن هؤلاء الذين يتمون تعليمهم في المدارس العسكرية أو غيرها باستانبول كانوا من أبناء الأعيان المتعلمين ورجال الحكم الأتراك في مراكز الولاية كذلك يلاحظ من نفس المصادر التاريخية أن هذه المدارس العسكرية الطبية كانت تتأثر بالثقافات الاجنبية في برامجها فقد كانت المدارس الحربية تهتم مثلاً باللغة الالمانية والتنظيم الالماني بصفة خاصة بينما كانت المدارس والمعاهد البحرية تجعل اللغة الانكليزية والنظام العسكري الانكليزي موضع عناية خاصة ومع ذلك فقد كان للغة الفرنسية مكان بارز في برامج المدارس العسكرية بصفة عامة[18].

وأما بالنسبة للتعليم في عهد الاستعمار الايطالي 1910 م ـ 1942 م فقد تعرض

---

(18) نفس المصدر السابق، د. رأفت غنيمي، ص 166.

لمحاولات ربطه بالثقافة واللغة الايطالية ووضعه تحت اشراف الادارة الايطالية مباشرة، وظهرت مستجدات من أهمها: ـ انشاء المدارس الايطالية للمستوطنين الايطاليين في ليبيا، والمدارس الأجنبية الأخرى لابناء الجاليات الفرنسية واليونانية واليهودية وهنا يمكن القول بأن التعليم الوطني الديني في ليبيا بدأ في مواجهة مباشرة مع سلطات الاحتلال الايطالي التي حاولت ادخال نموذج ونمط التعليم الايطالي في بنية التعليم الوطني الليبي هادفة من ذلك تقوية جانب التعليم الايطالي واضعاف التعليم الوطني الليبي كسبيل وطريق لدمج اللغتين في الثقافة الايطالية وجعل اللغة والثقافة الغربية كثقافة محلية محدودة مقصورة على القضايا الشخصية والشرعية التي لا مفر للمستعمر الايطالي من معاملتها طبقاً للشريعة الإسلامية.

وما دمنا بصدد الحديث عن التعليم العالي في ليبيا دون سواه فقد اتخذ الاستعمار الإيطالي خاصة في عهد الفاشيست سياسة محاربة التعليم العام والتعليم العالي الليبي (الذي كان يتم في إطار إسلامي) وعمل على أن يحل محله تعليم ايطالي يتحصل عليه الدارس في ايطاليا نفسها. وانطلاقاً من هذه الدوافع حاربت ايطاليا التعليم العالي الليبي الذي كان موجوداً في الزوايا الدينية والمساجد والجوامع وشجعت بعض الليبيين على الدراسة والتعليم في روما. ومن هنا تم اغلاق معظم الزوايا الدينية وصودرت الأوقاف المحبوسة عليها. بل حاربوا ايضاً الاتجاهات التي كان يلجأ إليها الليبيون بارسال ابنائهم للتعليم والدراسة في الأزهر بمصر وجامع الزيتونة بتونس. وجاء تطبيق السلطات الايطالية على نشاط الليبيين التعليمي ورغبتهم في الاستزادة من التعليم الديني في مصر وتونس باتخاذ بعض الاجراءات تمثلت في انشاء مدرسة إسلامية عليا في طرابلس وهي في حكم تعليم جامعي وقهرت ايطاليا الناس على الحاق أبنائهم بها وتؤكد المصادر التاريخية أنه قد بدىء في التفكير بإنشاء هذه المدرسة منذ عام 1914 م بعد الاحتلال بثلاث سنوات، ونصت عليها القوانين التعليمية والمراسيم الملكية الايطالية في السنوات 1915-1922 م ولكنها أي هذه المدرسة لم تظهر للوجود حتى عام 1935 م بموجب المرسوم الملكي الايطالي رقم 1365 م الصادر في 13 مايو 1935 بانشاء هذه المدرسة بمدينة طرابلس، وقد ظهرت للوجود في العام الدراسي 1935م/ 1936 م

ولكنها لم تلبث ان اغلقت أبوابها في عام 1942 م مع نشوب الحرب العالمية الثانية، ولانها لم تجد الاقبال من الليبيين وكانت هذه المدرسة ذات مرحلتين: مرحلة اعدادية مدة الدراسة بهاثلاث سنوات ومرحلة ثانوية مدة الدراسة بها أربع سنوات والمرحلة الثانوية ذات شعبتين واحدة لاعداد مدرسين للمدارس الابتدائية والشعبة الثانية لاعداد الليبيين للخدمة في الوظائف العامة ووظائف القضاء والافتاء[19].

ورغم كل هذه الجهود التي قامت بها ايطاليا لمنع الليبيين من مواصلة دراستهم العليا بمصر وتونس أو التوسع في نظامهم التعليمي الداخلي الديني في ليبيا نفسها. إلا أن المدرسة الإسلامية العليا التي أنشئت بدافع عزل الليبيين عن بقية العرب توقفت تماماً وامتنع الليبيون عن الدراسة بها وحاولوا بجهود أهلية وتطوعية المحافظة على مساجدهم القرآنية ومساجدهم وزواياهم كمؤسسات للتعليم والتربية بوجه عام والتعليم العالي الديني بوجه خاص. وكان من أبرز هذه المؤسسات التعليمية العالية زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر بزليطن وزاوية الشيخ أحمد الزروق بمصراته وجامع أحمد باشا بطرابلس وغيرها كثير من الجوامع والزوايا التي حفظت للشعب الليبي لغته العربية وثقافته وتراثه العربي الإسلامي.

بعض أساتذة وعلماء التعليم العالي في تاريخ ليبيا

كانت المؤسسات السابقة من أهم مؤسسات التعليم العالي التقليدية في تاريخ ليبيا وكانت لها فلسفتها المتميزة والمتمثلة في تحفيظ القرآن الكريم وعلومه المختلفة إلى جانب دراسة قواعد اللغة العربية من نحو وصرف، وكذلك المعاملات التي استوجبت دراسة أصول الفقه والتربية الإسلامية، وهناك ما يؤكد أنه إلى جانب هذه العلوم درست أيضاً العلوم الأخرى مثل التاريخ والجغرافيا والطب وفنون الحرب والدفاع. وكانت هذه المؤسسات تضم مكتبات مليئة بالمراجع والمخطوطات الدينية والعلمية.

---

(19) المصدر السابق، د. رأفت غنيمي ، ص (236).

ورغم ما سبق لم يكن هذا النظام التعليمي العربي الليبي طوال بقائه ووجوده منغلقاً على نفسه أو جامداً، بل كان دائماً في اتصال مستمر مع المراكز العلمية الأخرى سواء في المغرب العربي في القيروان والزيتونة وفاس ومراكش واسبانيا الإسلامية أو في المشرق العربي في القاهرة ودمشق وبغداد أو في المراكز العلمية العليا في استانبول في عهد الأتراك و في اثناء الاحتلال الايطالي في روما وبعض بلدان اوروبا الأخرى وهكذا يمكن القول بأن الليبيين قد اعتمدوا في تعليمهم العالي على مرّ العصور على مجموعة من الوسائل من اهمها ما يلي :

1 ـ حضور حلقات العلم ودروس الأساتذة التي كانت تقام داخل المساجد والجوامع الكبرى والزوايا والربط.

2 ـ الاستفادة من الشيوخ الزائرين للمعاهد والمساجد وكذلك من الزائرين المارين بليبيا لأغراض مختلفة وخاصة الحُجاج المغاربة.

3 ـ اتاحة الفرصة لبعض الليبيين للسفر من أجل الحج والتجارة وزيارة المراكز الثقافية والعلمية المختلفة.

4 ـ السفر إلى خارج البلاد والدراسة في المعاهد العليا المشهورة في البلاد العربية والفكر خاصة الزيتونة في تونس والأزهر في القاهرة[20].

وقد ورد في تاريخ ليبيا أسماء مشهورة أسهمت في حركة العلم والتعليم العالي والفكر والثقافة، وتعتبر مثل هذه الشخصيات العلمية في حكم أساتذة وعلماء البحث العلمي والدراسات العليا وفي المؤسسات التعليمية والتربوية التاريخية في ليبيا ومن أهم هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

1 ـ الشيخ عبد الحميد بن أبي الدنيا وهو من علماء طرابلس وأنشأ المدرسة المستنصرية عام (555-558 هـ).

2 ـ الشيخ محمد الأزهري وهو من علماء منطقة الزنتان المشهورين وقد أسس زاوية طبقة وتقدر عدد الكتب والمخطوطات المتبقية فيها الآن بحوالي (500)

(20) مصدر سبق ذكره، د. عبد الله الشريف والأستاذ محمد الطوير، ص 28.

مجلد معظمها في العلوم الدينية.

3 ـ الشيخ أحمد الزروق (846 هـ) في مدينة مصراتة وكان له الفضل في انشاء أول معهد علمي عالي منذ أربعة قرون ونصف ولا تزال زاويته من أهم المعالم التاريخية في منطقة مصراتة.

4 ـ الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد غلبون.

5 ـ الفقيه أبو علي الحسن بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي.

6 ـ الفقيه محمد بن عبد الكريم بن مكرم.

7 ـ الفقيه الشاعر محمد بن سالم الفطيسي.

8 ـ الفقيه عبد السلام بن محمد بن ناصر.

9 ـ الشيخ محمد عبد الرحمن الكانوني البرناوي.

10 ـ الشيخ يوسف الحصراني الذي عاش عام (820 هـ).

11 ـ الشيخ رمضان بن تركية.

12 ـ الشيخ عبد السلام الأسمر وابنه عمران بن عبد السلام الأسمر.

13 ـ المؤرخ أحمد الغائب (1840-1914 م) وقد عاش في أواخر العهد العثماني ويعتبر من أبرز المثقفين في عصره وكان شغوفاً بحب الكتب ومهتماً بكتب التراث العربي والتاريخ وتقلد عدة وظائف ادارية من ضمنها رئاسة بلدية طرابلس.

14 ـ اسماعيل كمالي ولد بمدينة الخمس عام 1882 م وكان مهتماً بتاريخ القبائل في طرابلس.

15 ـ الشيخ محمد البشير بن محمد بن علي بن محمد بن أبي بكر وقد ولد في بلدة أقار بمنطقة الشاطىء بالجنوب الليبي ويرجح أن سنة ميلاده كانت سنة 1204 هـ ومات بنفس البلدة سنة 1289 هـ. وقد اشتغل بالتعليم والامامة والقضاء وقد ذاع صيته كعالم ومتصوف في الجنوب الليبي وعرفت بعض أعماله في الشمال الليبي وحتى في بعض مناطق المغرب العربي، ولم يترك مؤلفات مكتوبة وإنما حفظت له الكثير من آثاره وقد عثرت احدى فرق البحث العلمي التابعة لمركز الجهاد الليبي ضد الغزو الايطالي على بعض من أوراق منسوخة من مؤلفاته الأصلية

وقد جمعت ثلاثة من مؤلفاته وهي الحكم والدعاء والقصيدة.

16 ـ مصطفى الخوجة ولد بمدينة طرابلس ولقب بالكاتب لميوله الأدبية التي جعلت منه كبير الكتاب للوالي علي باشا القزه ماناللي ويرجع له الفضل في تأسيس مسجد ومدرسة ألحقت به وعرفت بمدرسة الكاتب، وقد احتوت مكتبة هذه المدرسة على أكثر من 30 ألف كتاب[21].

التعليم العالي في ليبيا المعاصرة:

تأسست في عام 1955 م أول جامعة ليبية بالمفهوم الحديث والمعتاد الآن للجامعة والتعليم العالي باسم (الجامعة الليبية) في مدينة بنغازي مع فرع لها في مدينة طرابلس وبدأت هذه الجامعة بكلية الآداب والتربية في نفس العام الذي تكونت فيه (1955) في المقر الرئيسي ببنغازي ثم لحقها كلية للعلوم في المقر الفرعي بمدينة طرابلس في سنة 1957 م وفي ذلك الوقت لم تخرج الأهداف الرئيسية للجامعة الليبية عن تكوين مدرسين للمدارس الاعدادية والثانوية بالتعليم العام وعن تكوين موظفين وإداريين للوظائف الحكومية المختلفة. وقد اعتمدت الجامعة الليبية في نشأتها وتصميم مناهجها وتشريع قوانينها وتأليف كتبها وتكوين أساتذتها وموظفيها على الخبرات العربية والأجنبية. إذ لم يكن في البلاد أساتذة أو خبراء بالشروط والكيفية المتعارف عليها الآن ويمكن الاعتماد عليهم في التدريس الجامعي أو تسيير هذه الجامعة ومرافقها اللهم إلا بعض الوظائف البسيطة مثل الكتبة والاداريين والغفراء والمستخدمين في المطاعم والمخازن والمرافق العامة التابعة للجامعة.

---

(21) اعتمدنا في حصر هذه الأسماء العلمية على دراسة د. عبد الله الشريف والأستاذ محمد الطوير مصدر سبق ذكره 1987م ص (20) وكذلك دراسة الدكتور رأفت غنيمي الشيخ. مصدر سبق ذكره 1972م وكذلك بحث الدكتورة نجاح القابسي. مصدر سبق ذكره 1981م ص (11-26) وكذلك دراسة ل د. محمد الطاهر الجراري (جمع وتحقيق) نصوص أدبية) محمد البشير بن محمد 1204 هـ ـ 1289 هـ سلسلة نصوص ووثائق (10) ط 1 (طرابلس منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي 1988م، ص (5-10).

وعلى أية حال تطورت هذه الجامعة الوحيدة فأنشئت في عام 1957 م كلية للاقتصاد والتجارة في مدينة بنغازي، ثم تبعتها كلية الحقوق في عام 1962 م بمدينة بنغازي أيضاً ثم انشئت كلية الزراعة بمدينة طرابلس عام 1966 م وفي عام 1967 م بدأت الجامعة الليبية تتوسع في كلياتها وبرامجها فقد ضمت إليها كلية الدراسات الفنية العليا في مدينة طرابلس وكلية المعلمين العليا في مدينة طرابلس أيضاً وهاتان الكليتان سبق أن أنشأتهما الحكومة الليبية في ذلك الوقت بالاتفاق مع منظمة اليونسكو UNESCO وعندما ضمت هاتان الكليتان إلى الجامعة الليبية في العام المذكور 1967 م أصبحت الأولى تعرف بكلية الهندسة وأبقيت في مقرها الأصلي بمدينة طرابلس، وعرفت الثانية بكلية التربية وهي الأخرى أبقيت في مقرها الأصلي في مدينة طرابلس وبعد عام 1969 م شهدت الجامعة الليبية تطوراً كبيراً وتغييراً في فلسفتها وأهدافها وبنائها الاداري ففي عام 1970 م أنشئت كلية الطب البشري بمدينة بنغازي وبدأت الدراسة في نفس العام الذي أنشئت فيه وفي عام 1972 م أنشئت كلية هندسة النفط والتعدين بمدينة طرابلس. كما قلنا لقد شهدت الجامعة الليبية تطوراً كبيراً منذ عام 1969 م وازداد هذا التطور في أغسطس عام 1973 م حيث فصلت الجامعة الليبية الى جامعتين مستقلتين هما جامعة طرابلس ومقرها مدينة طرابلس وجامعة بنغازي ومقرها مدينة بنغازي وألحقت الكليات الموجودة بطرابلس بجامعة طرابلس والكليات الموجودة ببنغازي والبيضاء بجامعة بنغازي.

ولقد جاء هذا التوسع في الجامعة الليبية بسبب ازدياد عدد الطلاب المقبولين للدراسة الجامعية وبسبب التأكيد على التعليم الجامعي والعالي في خدمة المجتمع وذلك لمَدِّهِ بالكفاءات العلمية اللازمة للنهوض بالمجتمع وكذلك الإيمان بأن للعلم دوراً أساسياً في معالجة مشكلات التحول الاجتماعي والاقتصادي الذي بدأت تشهده البلاد[22].

وفي الوقت الذي غيرت فيه تسمية الجامعتين إلى جامعة الفاتح، وجامعة

(22) د. علي الحوات (الأهداف الاجتماعية والاقتصادية للتعليم الجامعي والعالي في المجتمع العربي الليبي) في: مجلة الوحدة السنة الثانية العدد (14) تشرين الثاني (نوفمبر 1985م ص (39-41).

قاريونس أصبحت جامعة الفاتح تضم عشر كليات هي :

1 ـ كلية العلوم .
2 ـ كلية الهندسة .
3 ـ كلية التربية .
4 ـ كلية الزراعة .
5 ـ كلية هندسة النفط والتعدين .
6 ـ كلية الطب البشري .
7 ـ كلية الصيدلة بدأت الدراسة فيها سنة 1975 م .
8 ـ كلية التربية بسبها ومقرها مدينة سبها وبدأت الدراسة فيها سنة 1976 م .
9 ـ كلية الهندسة النووية بدأت الدراسة فيها سنة 1978 م .
10 ـ كلية الطب البيطري بدأت الدراسة فيها سنة 1976 م .

كما أن جامعة قاريونس في بنغازي أصبحت تضم ثماني كليات اضافة إلى مركز للبحوث وهذه الكليات هي :

1 ـ كلية الآداب والتربية .
2 ـ كلية الاقتصاد .
3 ـ كلية القانون .
4 ـ كلية الطب البشري .
5 ـ كلية العلوم .
6 ـ كلية الهندسة .
7 ـ كلية طب الأسنان .
8 ـ كلية الزراعة .
9 ـ مركز البحوث (وتشرف عليه كلية الاقتصاد) .

وهكذا يمكن القول بأن التعليم الجامعي والعالي قد حظي باهتمام كبير منذ عام 1969 م تمثل في التوسع المضطرد في اعداد الطلبة بجانب العمل على تطويره لمواكبة التقدم العلمي والتكنولوجيا والتقنية الحديثة حتى يمكن أن يمد مخططات

التحـول الاقتصادي والاجتمـاعي بما تحتـاجه من القـوى المنتجة المؤهلة تـأهيـلاً عالياً. ففي العام الدراسي 74/73 م ـ كما لاحظنا ـ طورت الجـامعة الليبيـة الوحيـدة في البـلاد إلى جامعـة الفاتـح، وجامعـة قاريـونس وبعد أن كـانت الجامعـة الليبية تحتـوي على خمس كليات نـظرية فقـد أصبحت الجامعتـان تضم أكثـر من خمس عشرة كلية تشتمل على مختلف التخصصات العلمية والأدبية والإنسانية. ومنـذ سنة 1985 م أعيـد النظر في الجـامعات وتم تصنيفهـا على أسـاس مفهـوم (الجـامعـات المتخصصة) ونتيجة لذلك تم التوسع في إنشاء الجامعات بحيث أصبح عددها سنة 1986 م إحدى عشرة جامعة متخصصة هي:

1 ـ جامعة العرب الطبية، ومقرها مدينة بنغازي.
2 ـ جامعة قاريونس، ومقرها مدينة بنغازي.
3 ـ جامعة عمر المختار للعلوم الزراعية، ومقرها مدينة البيضاء.
4 ـ جامعة الفاتح للعلوم الطبية، ومقرها مدينة طرابلس.
5 ـ جامعة الفاتح، ومقرها مدينة طرابلس.
6 ـ جامعة الراية الخضراء للعلوم الهندسية، ومقرها مدينة طرابلس(*).
7 ـ جامعة ناصر الأممية، ومقرها مدينة طرابلس.
8 ـ جامعة النجم الساطع للنفط والتعدين، ومقرها مدينة الزاوية.
9 ـ جامعة السابع من أبريل، ومقرها مدينة الزاوية.
10 ـ جامعة سبها، ومقرها مدينة سبها.
11 ـ الجامعة المفتوحة، ومقرها مدينة طرابلس.
12 ـ جامعة خليج سرت، بمدينة سرت.
13 ـ جامعة الانتفاضة، بمدينة الخمس.

كمـا يوجـد الآن حوالي (16) معهـداً تقنياً عـالياً وهـذه المعاهـد في مستـوى التعليم الجـامعي إلا أنها تهتم بـالجوانب العمليـة والفنيـة التي تتـطلبهـا اجـراءات

(*) تم في شهر ناصر (يوليو 90م) دمج هـذه الجامعـة الهندسيـة، مع جـامعة الفـاتح بـطرابلس في شكل كليتين هما: (1) كلية العلوم الهندسية وكلية الهندسة النووية.

العمل والتنفيذ في مخططات النمو الاقتصادي والاجتماعي وإلى جانب ذلك هناك العديد من المعاهد الفنية المتوسطة التي هي في مستوى التعليم الثانوي والتي هى الأخرى تهتم بتدريس وتهيئة الكوادر الفنية المتوسطة اللازمة والضرورية لعمليات تنفيذ مخططات النمو الاقتصادي والاجتماعي في البلاد. وقد جاء في قرار انشاء هذه المعاهد أنها تعمل على تكوين الفنيين لمستوى ما فوق المرحلة الثانوية وذلك لخلق قاعدة بشرية قادرة فنياً على الايفاء بمتطلبات خطط التحول والبناء في مجالات العمل الفني والتقني. ومن الناحية الكمية فقد بلغ اجمالي عدد الطلبة والطالبات بالتعليم الجامعي والعالي في العام الدراسي 76/75 م نحو (418 13) طالباً وطالبة وارتفع عددهم في العام الدراسي 81/80م إلى نحو (315 19) طالباً وطالبة بزيادة قدرها 43·9٪ وبمعدل نمو سنوي مركب قدره 7·6٪ وكانت الزيادة في عدد الطالبات الجامعيات واضحة فقد زاد عددهن من نحو (2359) طالبة في العام الدراسي 1976/1975م إلى نحو (4780) طالبة في العام الدراسي 1981/1980م وبزيادة قدرها 102·6 وبمعدل نمو سنوي مركب 15·2٪ وكانت نسبة الزيادة من الذكور 31·4٪ وبمعدل سنوي مركب 5·6٪.

خلاصة:

حاولت هذه الورقة القاء الضوء على تاريخ تطور التعليم العالي والجامعي في المجتمع العربي الليبي من حيث تطور فلسفته ومؤسساته، وخلال هذا التاريخ يمكن النظر لكثير من المساجد والجوامع الكبرى والزوايا والربط على أنها مؤسسات تعليمية عالية تشبه في وظيفتها ودورها ما نعرفه ونحدده اليوم بالجامعات أو الكليات الجامعية أو المعاهد العليا، إلا أن هذه المؤسسات التقليدية كانت تقوم بوظيفة التعليم الجامعي في اطار ديني إسلامي يتعلق أساساً بدراسة اللغة العربية والتراث الإسلامي والفقه والتوحيد وشيء من التاريخ والجغرافية والطب. ومن الأمثلة على ذلك فيما يذكر المؤرخون جامع أحمد باشا بمدينة طرابلس والزوايا الدينية مثل زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر بمدينة زليطن وزاوية الشيخ عبد الله الزروق بمدينة مصراتة وبانتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ التعليم العالي الليبي يتحول إلى شكل حديث ويطبق نماذج التعليم العالي والجامعي السائدة والمعروفة

في المجتمع الدولي الحديث، ورغم ذلك ظل التعليم العالي في ليبيا اليوم يحافظ على التراث العربي الإسلامي لليبيا ويعمل بكل السبل والطرق لاحيائه واثرائه مع الانفتاح على المناهج الحديثة والعلوم العصرية اللازمة للنهضة والتقدم الصناعي والتكنولوجي في المجتمع العربي الليبي المعاصر.

المصادر والمراجع

1 ـ د. جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات في العصور الوسطى، الكتب التاريخية (7) الاسكندرية منشأة المعارف، 1971م.

2 ـ د. رأفت غنيمي الشيخ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة الطبعة الأولى (بنغازي: دار التنمية للنشر والتوزيع، 1972 م).

3 ـ د. عبد الله الشريف، ومحمد أمحمد الطوير، دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية، الطبعة الأولى طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان 1987 م.

4 ـ د. علي الحوات (الأهداف الاجتماعية والاقتصادية للتعليم الجامعي والعالي في المجتمع العربي الليبي) في: مجلة الوحدة السنة الثانية العدد (14) تشرين الثاني (نوفمبر 1985 م)، ص 39-41 الرباط ـ المغرب.

5 ـ د. محمد الطاهر الجراري (جمع وتحقيق) نصوص أدبية محمد البشير بن محمد 1204 هـ ـ 1289 هـ سلسلة نصوص ووثائق (10) الطبعة الأولى (طرابلس: منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي 1988 م.

6 ـ د. نجاح القابسي (المعاهد والمؤسسات التعليمية في المغرب العربي) في: مجلة كلية التربية العدد الرابع عشر (1980 م / 1981 م) ص ص (12-26) مجلة دورية علمية ثقافية اجتماعية أدبية تصدر عن جامعة الفاتح ـ بطرابلس ـ ليبيا.